العرب
الثلاثاء 2021/05/18
السنة 43 العدد 12062

فنان يمني يعيد تشكيل وطنه بألوان ساخنة ووجوه بسيطة

محمد سبأ: العمق الحضاري اليمني ساهم في صمود المشهد التشكيلي رغم الإكراهات

عشق الفنان التشكيلي اليمني محمد سبأ الرسم منذ طفولته وظل مؤمنا بفنه ورسالته رغم كل التحديات، وهو الذي اختار التراث الشعبي اليمني لينهل منه وليوثّقه في أعماله. وعلى الرغم من أنه يعيش منذ أكثر من خمس سنوات في مصر، إلاّ أن اليمن بمعماره الأصيل وطبيعته الخلابة بقي حاضرا وبقوة في جل لوحاته التعبيرية.

صالح البيضاني
صحافي يمني

عدن – ارتبطت مرحلة البدايات في تجربة الفنان التشكيلي اليمني محمد سبأ بالبيئة التي أحاطت به في القرية، حيث شرع منذ طفولته في رسم القرى والجبال المحيطة بمنزله في قرية "حي الثجة" بمحافظة إب، قبل أن يعزّز شغفه بالتعليم الأكاديمي من خلال التحاقه بقسم التربية الفنية بجامعة إبوهي، وهي المرحلة التي ساهمت في صقل تجربته الفنية التي تواصلت بعد ذلك عبر المشاركة في المعارض التشكيلية ومن ثم التوجه نحو الدراسات العليا في فن التصوير الزيتي والفنون والتراث.

محمد سبأ

الفنان اليمني متصل ببيئته وتراثه وهو يرسم من الواقع المحيط به

وعن هذه المرحلة من حياته الإبداعية يقول سبأ لـ"العرب" "التحقت بأكاديمية الفنون في القاهرة في مجال الفنون والتراث الشعبي منذ العام 2017، وخلال تواجدي في القاهرة أقمت أربعة معارض شخصية أولها عام 2017 في دار الأوبرا المصرية الهناجر بمناسبة احتفالات السفارة اليمنية بالأعياد الوطنية، ومعرضا آخر نهاية العام نفسه بعنوان 'اليمن تراث ماض وحاضر'، ومن ثم معرضا شخصيا في العام 2018 في أكاديمية الفنون التي أدرس فيها بعنوان 'مقتطفات يمنية' احتوى أربعين لوحة من أعمالي".

صمود ثقافي

في العام 2019 قدّم الفنان اليمني معرضا فرديا حمل عنوان "في حب مصر واليمن" والذي لاقى رواجا كبيرا، حيث تناولته العديد من الصحف المصرية وعدد من القنوات العربية، وجمع فيه ستين لوحة رسم موضوعاتها من البيئة في مصر واليمن.

ويؤكّد سبأ أن الفن التشكيلي في اليمن مستمر رغم كل الظروف التي يمرّ بها المشهد الثقافي ببلده جراء الحرب، مشيرا إلى أن هناك الكثير من المبدعين اليمنيين الذين ظهروا على الساحة التشكيلية في الفترة الأخيرة.

ويضيف "هناك العديد من الفنانين اليمنيين الذين عرضوا أعمالهم من خلال القنوات ومواقع التواصل الاجتماعي بالرغم من الأزمة الخانقة التي سبّبتها الحرب في اليمن، وقد يكون مردّ هذا الصمود الذي يبديه الكثير من الفنانين التشكيليين للتغلب على الظروف القاسية، العمق الحضاري الذي يستلهم منه هؤلاء الفنانون أعمالهم، واليمني بطبيعته يعيش محاطا بالفن كما هو حال زخارف العمارة اليمنية التي ترقى لتكون لوحات فنية في حد ذاتها. كما يدخل الفن في كل تفاصيل حياتنا كالزخارف على الأزياء والحلي، ناهيك عن الأغاني والعزف اليمني بالعود والزامل والإنشاد والرقصات الشعبية وغيرها".

ولا يقلّل الفنان اليمني من حجم الآثار الكارثية التي خلّفتها الحرب على المشهد الثقافي عموما والفن التشكيلي على وجه الخصوص، حيث يشير إلى أن التشكيل اليمني في هذه الفترة التي يصفها بالعصيبة يمرّ بأسوأ حالاته. ويقول مؤكّدا "قاعات الفن التشكيلي مغلقة، كما أن الإقبال على شراء اللوحات الفنية يكون في الغالب من المثقفين والمهتمين بالفنون، وأيضا من السياح الذين كانوا يزورون اليمن باستمرار، وعدم وجود الاستقرار يؤثر على الفنانين والمبدعين، فلا مشاركات خارجية ولا معارض داخلية ولا مسابقات ولا جوائز، كل هذا أسهم بشكل كبير في حدوث انتكاسة للفنانين".

ويعتقد سبأ أن الكثير من الفنانين اليمنيين تميزوا بأساليبهم الخاصة، وخصوصا الجيل الأول والثاني في الفترة الممتدة بين ستينات القرن الماضي وحتى اليوم، ومن أمثال هؤلاء الرواد الفنان حكيم العاقل والفنان مظهر نزار والفنان عبدالجبار نعمان والفنان طلال النجار والفنانة آمنة النصيري وغيرهم كثيرون.

وهو يشير إلى أن هذه النخبة من الفنانين كانت تجربتها أكثر أكاديمية على خلاف جيل الشباب الذين لم تظهر ملامح المدارس والاتجاهات التشكيلية العالمية على أعمالهم عدا بعض المحاولات.

تجارب بلا ملامح

يعزو سبأ ذلك إلى حالة التأرجح التي تظهر بين الواقعية والسريالية لدى بعض الفنانين الشباب، في الوقت الذي تغيب فيه ملامح الأسلوب الخاص لدى آخرين لم يكتشفوا أنفسهم بعد، وربما احتاجوا إلى المزيد من الوقت والممارسة والقراءة للوصول إلى خصوصية تجاربهم وصقلها بشكل أفضل.

ويُضيف "لهذا السبب لا يمكن الجزم بظهور ملامح لمدرسة يمنية خاصة، فالفنان اليمني متصل ببيئته وتراثه، وهو يرسم من الواقع المحيط به في الغالب والمدارس الفنية ترقى إلى مستوى الاختراع ولم نلمس أي اختراع لمدارس جديدة على مستوى العالم وليس في اليمن فقط، فهناك بعض الملامح لظهور مدرسة عالمية ربما نطلق عليها مستقبلا اسم مدرسة الخداع البصري، وهي الأقرب إلى أن تكون مرشحة ضمن تجارب الفن الحديث".

ويتتبّع سبأ في لوحاته العديد من الحرف والمهن الشائعة في اليمن، كما تحضر بائعات البيض واللبن، والحدادون والفلاحون، إلى جانب العديد من البورتريهات لسيدات بلباسهنّ الشعبي وهنّ يقمن بأعمالهنّ اليومية في المنزل والحقل والشارع.

ويتجلّى من خلال ما يرسمه الفنان الشاب أن من أكثر وأهم الدوافع الإبداعية عنده هو التعبير عن الذات وتحقيقها، وهذا لا يكون ممكنا إلاّ من خلال حبه للفن والتراث والرغبة في أن يكون مؤثرا في الحياة، وأن يكون له دور فيها من أجل تحقيق التوازن الداخلي متوجها لذلك من خلال قوة دافعة إلى التحدي والاستكشاف والرغبة في الإبداع والسعي نحو الأصالة والتجديد والتميّز في مجال الفن.

وتبدو الألوان الساخنة الأكثر بروزا في أغلب لوحات الفنان اليمني بما يضفي عليها الشعبية التي تشكّلها هندستها المعمارية الأصيلة، خاصة في العاصمة صنعاء، بلون طوبها الأحمر ومدى اتساقه مع الشفق عند شروق الشمس وغروبها.

ويقيم الفنان اليمني منذ سنوات في مصر، حيث تأثر بالحياة فيها فرسم لوحات تحكي عن الحضارة الفرعونية، وأشهرها لوحة لتمثال أبي الهول، التي حظيت بإعجاب الكثيرين. كذلك ينظم دورات تدريبية في مجال الرسم خصّصها لأبناء الجالية اليمنية مجانا، وعنها يقول "قرّرت أنا واثنان من زملائي أن ننفّذ دورات مجانية لأبناء اليمن وذلك دعما للثقافة والفن، وتشجيعا للمواهب اليمنية الراغبة في تطوير نفسها".

وعن الرسائل التي يودّ إيصالها إلى المتلقي من خلال لوحاته يقول "أبحث في لوحاتي عن السلام في نبذ قطعي لكل مظاهر العنف وتجلياته، فالفن وحده القادر على صناعة عالم بلا عنف وأكثر إنسانية، وأحاول من خلال الاستلهام من تراث بلدي المعماري والثقافي على حد السواء أن أوصل رسالة إلى الجميع مفادها أن الأوطان أغلى ما نملك، وأن علينا الحفاظ عليها، خصوصا في هذه الفترة العصيبة التي تمرّ بها المنطقة العربية".

فرادة المعمار تعكس قوة الحضارة اليمنية

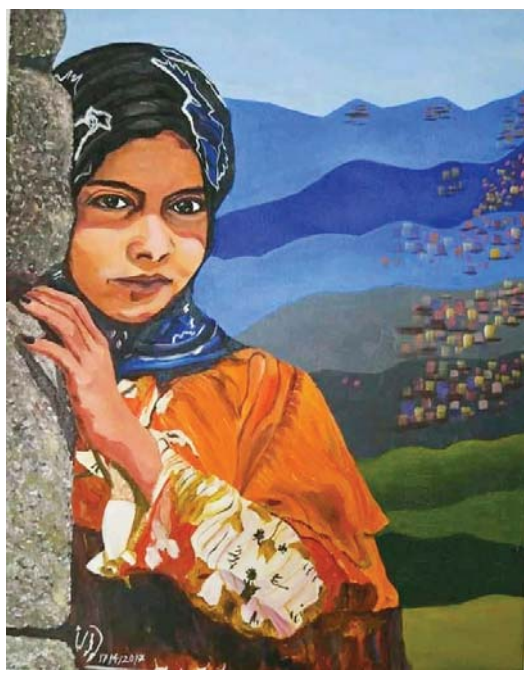

نظرة أمل نحو مستقبل غامض

ثقافة شعبية عريقة وأساطير قديمة

السوري حبيب نجار يستعيد ماضي بلده رسما ويشكل حاضره نحتا

استطاع الفنان التشكيلي والنحات السوري حبيب نجار إحياء التراث وحفظه في لوحات ومنحوتات بأفكار وصور مستوحاة من بيئة بلدته محردة بمحافظة حماة السورية، فغلبت الواقعية على فنه معتمدا على المواد المنوّعة، جاعلا من الانسجام بين الإنسان والطبيعة هدفا له.

حماة (سوريا) – يتجلى عند الفنان التشكيلي والنحات السوري حبيب نجار البحث والتجريب في عالم اللوحة وتقنياتها، فيغوص في تقديم كل ما هو جديد لاكتشافه وتقديمه بشكل مميز ويلتقط مظاهر الحياة اليومية، ليكون خامة فنية ولونية يعبّر من خلالها عن هواجس الإنسان باحثا عن السكينة والألفة في أعماله.

ونجار الذي شغف بالفن منذ الصغر، وكانت له معارض في المرحلة الإعدادية والثانوية، يبيّن أن التراث والحياة القديمة في مدينته محردة ساهما في تكوين موهبته واستهوته حاراتها القديمة، وقام بإحيائها في أعماله الفنية فكانت مصدر إلهامه.

وتعني محردة مشرق الشمس، وهي مدينة سورية تقع شمال مدينة حماة وتبعد حوالي 25 كلم عنها وحوالي 240 كلم عن العاصمة دمشق، وهي تطل على نهر العاصي في وادي شمالي المدينة.

ويصف نجار اللوحة بكل عناصرها الطبيعية والإنسانية بالكائن الحي، فأحيانا تظهر البلدة كجسد يتغذّى من شريان في باطن الأرض أو شجرة عميقة الجذور أو كحضن دافئ لأم تحنو فوق أطفالها.

ويرى الرسام والنحات السوري أن الثقافة البصرية التي اكتسبها في طفولته من خلال الحياة الريفية البسيطة كان لها بالغ الأثر في تكوين لوحاته وأعماله، فلم تغب عنها الأرض والمياه والأشجار في أي فصل من الفصول والمواسم، كذلك الزي الشعبي فهو يجعل من الانسجام بين الإنسان والطبيعة هدفا له.

ويذكر نجار أن أهم المحطات التي تركت أثرا في تجربته الفنية، هو رسم الأيقونات بالأسلوب البيزنطي والتي يبلغ عددها 45 أيقونة موزّعة على كنائس البلدة وخارجها مرسومة ومطرزة بدقة عالية.

ويلفت الفنان إلى أنه يستخدم خامات عديدة في منحوتاته تحاكي المشاعر الإنسانية والطبيعة والمرأة ويقدّمها بجمالية خاصة، مستوحيا الأفكار من بيئته المحلية، فقام بالنحت على الحجر والرخام والخشب، مبينا أن انشغاله لعدة سنوات في رسم الأيقونة البيزنطية كان له الأثر الرمزي في أعماله النحتية.

ونجار من مواليد محردة في العام 1961 لعائلة وافرة العدد متكونة من ثمانية إخوة وأب وأم، وعائلة أكبر هي قريته كجزء من وطن يحتضن ثقافة وإنسانا وأرضا مشبعة بعبق من الحضارات الإنسانية المتعاقبة. وعنها يقول "كانت القرية الريفية جزءا من نسيج غني جدا منبسط على مساحات شاسعة منسوج بشتى ألوان الحياة وأطياف الثقافات ومعالم الوجود الإنساني، وبهذه الروابط الضاربة في عمق التاريخ بين الإنسان والأرض والسماء والثقافات الغنية في تنوّعها كانت القرية أسرة مترابطة متجانسة تتشارك بساطة المكان والزمان وشعور الانتماء لكل شيء والإحساس العميق بالآخر".

من هناك تشبّع نجار الطفل بالحياة الريفية البسيطة والثقافة الشعبية لذاك المكان ولتلك المرحلة الزمنية، عايش هموم مجتمعه وأفراحه وأحلامه وطقوسه وكل مظاهر الحياة اليومية فيه بإحساس عميق ومرهف، والتقط تلك اللحظات وتلك الأماكن بعين فنان مترنم بجمال كل شيء حوله حافظا إياها في ذاكرته البصرية وذاكرته الشعورية، لتكون في ما بعد خامة تشكيلية ولونية يعبّر من خلالها عن هواجس الإنسان السوري الآن وهنا.

واستطاع الفنان السوري بما راكمته ذاكرتيه البصرية والحسية أن يبتكر حوارا لطيفا ودودا بين الماضي والحاضر، باحثا عن السكينة في زمن الضجيج وعن الأمان في زمن الخوف، فيستحضر روابط الألفة في زمن الأنانية، ويبحث عن المعاني في زمن العبثية، جاعلا من الانسجام بين الإنسان والطبيعة هدفا له، ومن ظواهر ومعالم كل زمن ومرحلة تجارب وخبرات، هدفه الأسمى في كل هذا هو الإنسان في جوهره وعمقه وفي تصالحه مع ذاته ومحيطه.

وبسبب هذه الشفافية استطاع الفنان أن يعبر الجدران والأجساد ليلامس الأعماق والمعاني والنوايا الطيبة الصافية لكل إنسان وبيت، فأتت لوحاته تجسيدا لأناس تعمل أو تتسامر أو تحتفل أو تتشارك همومها وتواسي بعضها بصدق.

ويرسم الفنان حنينه الدائم إلى الحياة البسيطة، تلك الحياة المحببة إلى قلبه بعيدا عن الازدحام والضجيج الذي يعيشه الإنسان المعاصر والذي يُعره لاغتراب نفسي مؤلم وموحش ومتعب.

حنين يتجلى في كل أعماله، فالشخوص تتشارك وتتبادل وتتفاعل بعمق كلا من المكان والزمان بكل مفرداته وحضوره وتشكيلاته البصرية وروابطه اللونية المنسجمة، حتى أن البيت والإنسان والأرض والشجر لهم نواة لونية مشتركة فلا يشعر المُشاهد بتلك الحدود وتلك الفوارق الشاسعة بين الموجودات.

الفنان يستحضر روابط الألفة في زمن الأنانية، ويبحث عن المعاني في زمن العبثية، غايته الانسجام بين الإنسان والطبيعة

وكأن اللوحة بكل عناصرها الطبيعية والإنسانية هي كائن حي واحد أو كائن متصل ومتواصل ذو رابطة دم عميقة وروابط عصبية وحسية مرهفة، فتظهر القرية في لوحاته كجسد يتغذّى من شريان في باطن الأرض أو شجرة عميقة الجذور، كما تظهر كأم مقدسة تفتح ذراعيها لتحيط كل شيء بحمايتها ورعايتها.

وفي مرحلة الحصار والحرب التي عاشتها بلاده ومدينته طعنت جروح الحرب قلبه وأصبحت لريشته صرخات ألم وحزن تبوح بها ألوانه وعناصر التشكيل في لوحاته، فالضبابية ولّدتها ألسنة اللهب والصخب، والقلق والخوف بدا جليا على وجوه أشخاصه، لكنه خوف وحزن ممزوج بالرجاء المنتظر لبشرى خلاص قادم لا محالة.

بيئة بسيطة تسرد يوميات سعيدة